

حماية البيئة وحقوق الإنسان – آخر رسالة للأستاذ إبراهيم منير رحمه الله



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه ...

وبعد ...

فإذا كانت قضية المناخ والحفاظ على البيئة من القضايا الكبرى التي تشغل بها دول العالم، وتُعقد لها المؤتمرات، وتبأرى في اقتراح الحلول لها الهيئات والمؤسسات، وتكتب لها التوصيات، وتسن لها القوانين، فإنه من الأحرى بنا أن نعرض على الناس جميعاً رؤية الإسلام لعمرارة الأرض وحماية البيئة وحفظ المناخ ... حتى يتسنى للبشرية كلها على اختلاف أجناسها وألوانها أن تنعم بحياة صحية كريمة فترة إقامتها المؤقتة على ظهر هذا الكوكب.

إنَّ الله تعالى خلق الإنسان وكرمه على سائر الخلائق، وجعله خليفة له في أرضه، وحدد له غابيتين عظيمتين لوجوده ... أولهما: أن يعبد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) سورة الذاريات الآية 56 ... والثانية: عمارة الكون (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) سورة هود الآية 61 ... ومن أجل ذلك سخر له جميع قوى الأرض ومقدراتها وثرواتها (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ) سورة الجاثية 13 ... وفصل ذلك في آيات كثيرة (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّفْلَكَ لَتَجْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (32)) سورة إبراهيم الآيتين 32 - 33.

وبين أن هذه النعم والمقدرات موجودة بنسب دقيقة تحفظ التوازن الذي ينبغي أن يحافظ عليه الإنسان، فلا يبذر ولا يبدد (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَاقِبِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزَلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) سورة الحجر الآيات 19, 20, 21 ... وأمر الإنسان أن يستثمر هذه المقدرات على أفضل وجه ... فيصلح الأرض البوار، وينشر الخضرة والنماء،

وينعم بثمارها ويشرك فيها الحيوان والطير وكافة الكائنات (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمة إلا كان له صدقة) رواه مسلم .. (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا) رواه البخاري .. (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) رواه أبو داود والترمذي.

واعتبر الإسلام اخضرار الأرض رحمة (فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) سورة الروم الآية 50... والنظر إليها متعة نفسية وبهجة (فَأَنْبَتْنَا بِهَا حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا) سورة النمل الآية 60 ... (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) سورة ق الآية 7.

إن (الجمال) مقصود في خلق الله مع (الكمال) ... ومطلوب من الإنسان أن يحافظ على البيئة يعيش فيها بجمالها وكمالها ومقدراتها وأرزاقها ... وأن يُصلح ولا يُفسد، وأن يُنمي ويزيد ولا يُنقص (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) سورة الأعراف الآية 31 ... (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) سورة الأعراف الآية 56.

وقد تميزت المدن والعواصم الإسلامية في فترة ازدهار الحضارة الإسلامية – لأكثر من عشرة قرون – بجمالها وحسن تنظيمها وصفاء جوها ونقاء مناخها وطهارة بيئتها، وكانت نظم البناء مثلاً يحتذى في احترام الخصوصية، وحق الجوار، ومراعاة الارتفاعات والتهوية، والاستفادة من أشعة الشمس، ولا زالت حواضر الأندلس في قلب أوروبا تشهد بذلك حيث انتشر منها حب الجمال والنظافة إلى كافة أنحاء القارة.

إن أكثر من ينادون بالحفاظ على البيئة والمناخ اليوم هم من يساهمون في تدميرها، ويتنافسون في استهلاك كنوز الأرض، وتوليد النفايات، وصرف مخلفات المصانع في الأنهار والمحيطات مما يفسد مياه الشرب ويهلك الأسماك والحياة البحرية، فضلاً عن سباقات التسليح وإشعال الحروب وما ينتج منها من تلوث إشعاعي وكيميائي وبيولوجي ونووي وما يُنتج كل هذا من احتباس حراري يهدد الحياة على كوكب الأرض ... والدول الكبرى والعظمى لها في ذلك أكبر النصيب ... فمن تدمير هيروشيما وناجازاكي بالقنابل النووية، وتدمير العراق وأفغانستان باليورانيوم المخصب، وإجراء التجارب النووية على الأحياء في الجزائر، وتجربة كل سلاح مبيت على أرض أوكرانيا، وما زالت تنفث مصانع هذه الدول الكبرى كل لحظة الأطنان من الغازات والنفايات وتدفعها سراً أو جهراً في أراضي وصحاري الدول الفقيرة ... ولا تزال آثار كل هذا تؤثر في الأرض والبيئة والبشر والمناخ.

وإذا كان الله خالق الكون قد حرم علينا إفساد الحجر والشجر .. فمن باب أولى تحريم الاعتداء على الإنسان، وحرته، وكرامته، وخصوصياته، واحتياجاته الأساسية.

أليس من المستغرب أن يُعقد مؤتمر المناخ السابع والعشرين هذا العام في بلد تنتهك فيه حقوق الإنسان ويُحرّم فيها من كل مقدرات الحياة ... أكثر من ستين ألفاً من البشر في هذا البلد شاباً وشيوخاً، ورجالاً ونساءً بل وأطفالاً، أطباء ومهندسون، رجال أعمال وعلماء في شتى العلوم – ومنهم علماء في البيئة والمناخ !! – ... كل هؤلاء يُحشرون في زنازين ضيقة قدرة ملوثة، ولا يجدون طعاماً لا شرباً ولا دواءً ولا حتى الهواء النظيف لمدة تسع سنوات عجاف، فضلاً عن الذين ماتوا مرضى ومعذبين ومشنوقين ومسمومين ... يحدث ذلك على مرأى من العالم المتحضر المنادي بالحفاظ على البيئة والمناخ.

في هذا البلد .. بُنيت عشرات السجون بدلاً من المدارس والمستشفيات ... وتُنفق مليارات الدولارات لرعاية طبقة حاكمة طاغية على حساب الملايين من أبناء شعبٍ محروم من أدنى حقوقه الإنسانية كما هو محروم من بيئة نظيفة صحية.

إن جماعة (الإخوان المسلمون) تهيب بالعالم المتحضر أن يحافظ على الإنسان أولاً ... حقوقه وحرته وكرامته ... جنباً إلى جنب مع الحفاظ على بيئة صحية، وشراب صافي، وهواء نقي، وطعام صحي، ودواء صالح.

تهيب بالدول الكبرى أن تتحمل مسؤوليتها الكاملة في معالجة تلوث البيئة والمناخ، فهي أول المتسببين فيه وهي القادرة على التخفيف من آثاره، وحماية الأجيال القادمة من كافة أجناس الأرض.

كما نهيب بها وبالأمم المتحدة كمنظمة معنية بحقوق الإنسان أن تضغط على النظم الغاشمة والظالمة لتحرير البشر المحبوسين في أسوأ بيئة وأقذر مناخ كي ينعم الجميع بالحياة الحرة اللاتقة بأكرم مخلوق خلقه الله رب العالمين.

إننا ندعو البشرية جميعاً أن تشكر خالقها لما خلق لها من خيرات الأرض ومقدراتها وثوراتها، وأن تستفيد من ذلك في اعتدال واقتصاد، وأن تتجنب الإضرار بالبيئة والمناخ حماية للحاضر والمستقبل.

(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ).

و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

إبراهيم منير

نائب المرشد العام لجماعة (الإخوان المسلمون) والقائم بالأعمال

الجمعة 10 ربيع ثان 1444 هـ؛ الموافق 4 نوفمبر 2022 م